الجامعات لم تعد أبراجاً عاجية

فايزة الخرافي(*)

س: كيف ينبغي التفكير في دور الجامعات في الدولة العربية مستقبلاً؟(**)

جـ: نظراً إلى تضاعف وتعاظم حجم المعرفة بدرجة متسارعة في عصرنا الحاضر، نتيجة للثورات العلمية والتكنولوجية الحديثة في مختلف المجالات من هندسة الجينات، وبدائل الطاقة، وعلوم الفضاء، وثورة المعلومات والإلكترونيات وغير ذلك؛

وحيث أن المعرفة أصبحت من حيث مضمونها العلمي والفكري والثقافي المحور الأساسي للتقدم المجتمعي في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، فأصبح على الجامعات أن تلعب دوراً رائداً وإيجابياً في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في مجتمعها، باعتبارها مؤسسات إنتاجية بالدرجة الأولى، ومواقع إنتاج واستثمار فكري وبشري لها دور في إحداث التنمية وضمان استمراريتها؛

وفي ضوء ما تمر به المنطقة العربية من تحديات إقليمية وعالمية، ومتغيرات سياسية واقتصادية وبيئية، وما يفرضه ذلك على التعليم الجامعي بالنسبة إلى إعداد المواطن القادر على

(*) مديرة جامعة الكويت

(**) في هذا المحور المتعلق بوجهات نظر مسؤولين وخبراء ومفكرين في التعليم العالي، توجهنا إلى الدكتورة فايزة الخرافي طالبين وجهة نظرها، وكنا قد وضعنا عدداً من الأسئلة بغاية استثارة التفكير، فارتأت الدكتورة خرافي مشكورة تقديم وجهة نظرها في صيغة إجابة عن الأسئلة المطروحة.

التعامل مع متطلبات العصر ومعرفة مفاتيحه، ومواجهة تحديات الحاضر وإرهاصات المستقبل ومتغيراته؛

تضاعف دور الجامعات العربية، وازدادت مسؤولياتها في الإعداد لمتطلبات التنمية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، لمواكبة التطورات المتسارعة في عصر العولمة، ومواجهة تحديات خوض غمار القرن الحادي والعشرين.

س: ما هي التصورات حول المناهج والتخصصات الجديدة والملائمة لمستقبل التعليم العالي، وهل ثمة صيغ جديدة يمكن تبنيها؟ (الجامعة المفتوحة، التعليم عن بعد...الخ)

جـ: يجب الاهتمام بمتابعة تطوير مناهج الدراسة بما يتواكب مع التطورات العلمية المتسارعة، والتوسع في التخصصات التي تحتاجها خطط التنمية.

ومع التزايد الواضح والمتسارع في النمو السكاني، وبالتالي في عدد خريجي المرحلة الثانوية الراغبين في الالتحاق بالتعليم الجامعي، وعدم استطاعة الجامعات القائمة على استيعاب تلك الأعداد، وتعذر إنشاء جامعات جديدة، وتوفير متطلباتها من تكاليف مالية ضخمة، وقوى بشرية مؤهلة، مما يجعل المواءمة بين الكيف والكم عملية صعبة من حيث المحتوى والمستوى، وينعكس على أسلوب الأداء وعلى القدرة على تلبية احتياجات سوق العمل من التخصصات المطلوبة نوعياً وكمياً.

كان التوجه إلى استراتيجيات جديدة بالأخذ بأسلوب الجامعات المفتوحة، وكذلك بنظام التعلم عن بعد، مما يتيح فرصة التعليم الجامعي لمن يرغب، وهو ما أخذت به عدة دول منها أمريكا وبريطانيا واليابان والصين وتركيا وغيرها، وذلك من خلال عرض مناهج وبرامج الدراسة بواسطة الوسائل التكنولوجية الحديثة الإلكترونية (كمبيوتر/انترنت)، والإعلامية المسموعة والمقروءة والمرئية، لكل مستوى دراسي.

فإنه نتيجة لانفجار المعرفة وتطور تكنولوجيا الاتصالات، فإن قاعات المحاضرات تصبح غير مهمة وظيفياً في الجامعات، إذ نسمع الآن عن الحرم الجامعي الافتراضي، وهو تجمع جامعات غير موجودة فعلياً، ولكنها قضت على قيود الزمان والمكان وللتعليم، مع الوصول إلى المكتبات الإلكترونية، بما ييسر وصول التعليم إلى أكبر عدد من الطلبة والدارسين، وبما يتيح لهم الحوار مع أستاذهم عن بعد.

س: كيف ينبغي التعليم العلوم واستيعاب التطورات العلمية الحديثة، وتحديد العلماء والتخفيف من هجرة الأدمغة؟

ج: بالعمل على توطين العلوم والتكنولوجيا والبحث العلمي، وتوفير متطلبات البحث العلمي ودعمه، وتهيئة الجو المناسب لذلك، وتوفير البيئة العلمية الجيدة، وتلافي البيروقراطية، بما يقلل من تسرب الأدمغة العربية وييسر على المبعوثين الذين استكملوا دراساتهم وبحوثهم في الخارج مواصلة أبحاثهم العلمية في بيئتهم، لا سيما في ما يتصل بالمجتمع والبيئة، مع تيسير استمرار تواصلهم العلمي مع الجامعات ومراكز البحوث في مختلف الدول، وحضورهم المؤتمرات والندوات العلمية التي تعقد في تلك الدول، وتوفير الدعم الأدبي والمادي للباحثين بما يتيح فرصة استيعاب واستنبات التكنولوجيا دون الاقتصار على مجرد نقلها.

س: ما هي سبل توظيف البحوث في خدمة تطوير المجتمعات العربية؟

ج: بالعمل على دراسة المشكلات التقنية والاقتصادية والاجتماعية في قطاعات المجتمع واقتراح الحلول المناسبة لها، مع العمل على تنمية وتوطين المعارف والتقنيات التطبيقية بما يسهم في ترشيد الأداء في مختلف القطاعات، وفي زيادة رفاهية المجتمع.

ويتم ذلك بفتح قنوات الاتصال بين الجامعة وكلياتها، والهيئات والمؤسسات العامة والخاصة، والشركات والجهات المعنية في المجتمع، لتقديم الخدمات الاستشارية والبحثية والدورات التدريبية في مختلف المجالات. ويمكن أن يتم ذلك من خلال المكاتب الاستشارية، ولجان البحوث والتدريب والتطوير المهني والعلمي، وفقاً لقواعد منظمة، وذلك معمول به في جامعة الكويت حيث يوجد في كل كلية مكتب استشاري لهذا الغرض.

وتقدم الجامعة الدعم الكافي لبحوث أعضاء هيئة التدريس، بصفة عامة، في ما يهم المجتمع بصفة خاصة، وتوفير متطلباتها المالية والتجهيزية والبشرية، وتتيح للباحث فرصة تعيين مساعدين له في أبحاثه، مع فرصة حضور المؤتمرات العلمية المتصلة بما يقوم به من بحوث.

س: هل على الجامعات أن تكون في خدمة الوطن أم في خدمة العلم؟

ج: لم تعد الجامعات اليوم أبراجاً عاجية تعيش بمعزل عن مجتمعها، ولم يعد دورها مقتصراً على العلم للعلم، بل أصبحت من أدوات المجتمع الأساسية التي تعنى

بتطوير العلم والمعرفة من أجل النهوض بمجتمعاتها وأوطانها وحل مشاكلها. فإن الإنجازات التكنولوجية المتسارعة في طفرتها الخيرة، تم معظمها في قاعات ومختبرات الجامعات ومراكز البحوث، مما يقتضي الحرص على دعم الجامعات للنهوض بمهامها ومسؤولياتها لاسيما في عصر العولمة والتطورات التكنولوجية المتسارعة، ومتطلبات اللحاق بها، والاستفادة من إيجابياتها، وتلافي ما لها من سلبيات وانعكاسات على الجوانب الاجتماعية والثقافية.

س: ما هو موقع اللغة العربية وكيف ينبغي التفكير فيها من أجل تطوير التعليم العالي؟

ج: هناك جانبان بالنسبة إلى اللغة العربية وطلبة الجامعة:

الأول: ما لوحظ من ضعف مستوى الطلبة من خريجي المرحلة الثانوية في اللغة العربية، وبالتالي تعثرهم في دراستهم الجامعية، مما دعا جامعة الكويت إلى الإعداد لعقد اختبار قدرات اللغة العربية للطلبة المتقدمين للالتحاق بالجامعة. ومن لا يجتاز الاختبار يلتحق بدراسة تمهيدية في اللغة العربية.

الثاني: دور لغة التدريس في استيعاب العلوم ومواد الدراسة ومتابعة تطوير البحث العلمي وتوطينه، بما يوسع الدائرة، مما يقتضي تعريب العلوم وتدريسها، لإعادة توطين البحث العلمي في عالمنا العربي الذي كانت له الريادة في مختلف مجالات العلوم في بداية عصر النهضة العلمية للعلماء العرب في الرياضيات والكيمياء والفيزياء والطب والفلسفة والجغرافيا والاجتماع، منهم الخوارزي وابن الهيثم وابن حزم والبيروني وابن سينا والرازي وابن النفيس والزهراني وابن البيطار والكندي والإدريسي والمسعودي وحامد الغزالي وغيرهم كثيرون.

وكانت هذه العلوم تدرّس باللغة العربية في الجامعات الأوروبية، ويشهد التاريخ بأن أمتنا العربية تملك تراثاً حضارياً ازدهر عبر آلاف السنين، وتوقفت المسيرة تبعاً للهجمة الاستعمارية الشرسة على المنطقة العربية، وامتصاص خيراتها، ووقف تطورها، وتراجع الأمة العربية عن تراثها وتاريخها، مما يتطلب عودة الروح إليها واللحاق بالعصر والمشاركة الإيجابية في التطورات المتسارعة وتطبيقها من خلال تطوير التعليم العالي، ومتابعة البحث العلمي، واستيعاب التكنولوجيا، واستنباتها وتوطينها في البيئة العربية، وتعريب العلوم وتدريسها، مع ضرورة الحرص في عملية التعريب على معرفة متخصصين فيه وتوفير متطلباته بما يحقق الكفاءة والتعبير السليم، مع متابعة التطورات العلمية والمتسارعة، وتوفير قاعدة بيانات معربة (Data Base) في كل تخصص.

وهو ما دعا اتحاد الجامعات العربية في الستينات إلى اتخاذ توصية بالعمل على تعريب تدريس مختلف العلوم وترجمة الكتب الدراسية، وللأسف مازالت خطوات التنفيذ متعثرة.

ومن الأمثلة الواضحة في هذا المجال، اليابان عندما قامت بحركة ضخمة لترجمة مختلف المعارف والعلوم إلى اللغة اليابانية، وانصهرت معها، وتمكنت من توطين واستنبات وتنمية وتطوير العلوم والتكنولوجيا، وتفوقت فيها بدرجة ملحوظة، وتنافست وتفوقت وغزت أسواق العالم بما فيها الدول الأوروبية والأمريكية.

س: هل للنساء دور خاص في مستقبل التعليم العالي وكيف يمكن التفكير به؟

جـ: من الطبيعي أن يتزايد دور المرأة في مجلات التعليم العالي كطالبات، إذ تتزايد أعدادهن بنسب كبيرة عن أعداد الطلبة في معظم الجامعات العربية مع ظاهرة تفوقهن الملحوظ في دراستهن، سواء في الدرجة الجامعية الأولى أو في درجتي الماجستير والدكتوراه، وبالتالي تزايد عددهن في الهيئة التدريسية والبحثية بما في ذلك مرتبة الأستاذية ويشغل بعضهن وظائف قيادية في الجامعات.